الترجمة وسؤال الهوية: أدب الطفل المترجم بين الاستثمار الثقافي والاختراق الأيديولوجي

The Translation and Question of Identity: Translated Children's Literature Between Cultural Investment and Ideological Penetration

نصيرة شينة *

Nassira China

المركز الجامعي سي الحواس – بريكة (الجزائر)

University Center of Barika (Algeria)

nassira.china@cu-barika.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/21	تاريخ القبول: 2024/05/29	تاريخ النشر: 2024/09/02

ملخص البحث

تعد ترجمة أدب الطفولة من أعقد الترجمات وأشدها رهافة وحساسية؛ فهي في جوهرها تفاعل ثقافي وخلق إبداعي يواجه تحديات ومعوقات تتعلق باللغة والفكر والعادات والتقاليد والدين، وهي كلها عناصر ثقافية تشكل الهوية الحضارية للناشئة، وتؤثر بشكل مباشر في بلورة إحساسهم بالانتماء والتوجه الأيديولوجي.

وإذ تفتح الترجمة للطفل آفاقا جديدة على العالم تساعده على نموه الوجداني والمعرفي، فإنها تؤهله لاكتشاف الآخر وتقبّل ثقافته والتأثر بها ومن ثمة محاولة الاندماج فيها، وهو ما يعرّضه لخطر الاستلاب الثقافي والاختراق الهوياتي. لذلك حاولنا في هذا المقال الوقوف على جدلية المثاقفة بين الأنا والآخر في النصوص المترجمة للأطفال، وأثرها على هوية الناشئة وثقافتهم، كما سعينا لمناقشة إمكانية تحقق المواءمة الثقافية في النص المنقول إلى الطفل العربي من لغات أخرى في ظل العولمة والانفتاح الحضاري الحالي غير المسبوق.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، الترجمة، الأيديولوجيا، الهوية، القيم، المثاقفة.

Abstract :

The translation of children's literature is considered one of the most complex and delicate forms of translation. It involves cultural interaction and a creative process that encounters challenges related to language, thought, customs, traditions, and religion. These elements shape the cultural identity of young readers, directly influencing the crystallization of their sense of belonging and ideological orientation. Translation opens horizons for children, enabling them

* نصيرة شينة: nassira.china@cu-barika.dz

to explore the perspectives of others, accept different cultures, and attempt integration. However, this exposure also exposes them to the risks of cultural appropriation and ideological penetration. Therefore, in this article, we aim to explore the dialectics of acculturation between the self and the other in translated texts for children and its impact on their emerging identity and culture. This exploration focuses on texts transferred to Arab children from other languages during the era of globalization and unprecedented cultural openness.

Keywords: children's literature, translation, ideology, identity, value, acculturation.

مقدمة:

لا شك أن الثقافة حاجة من حاجات الطفل الأساسية؛ فهي تسهم في تكوين شخصيته وتعين المجتمع على إعداد أبنائه للمستقبل، ولأن ثقافة الطفل مزيج من العلم والفن يُقدَّم بوساطة مجموعة من العلوم والفنون والمهارات والقيم، التي يستطيع الطفل استيعابها وتمثلها في مرحلة من مراحله العمرية، فإن الأدب الموجه للطفل يأتي في مقدمة الوسائل التعليمية والتربوية التي تُعنى بتعريف الناشئة بالحياة وأبعادها، وإكسابهم الخبرات المطلوبة والمهارات اللازمة لمواجهة تحديات الحياة الآنية والمستقبلية، فهو بأنواعه المختلفة ووسائله المتنوعة، يبث في المتلقي الصغير القيم والمبادئ التي ستمثل النمط الثقافي السائد في مجتمعه، وتمنحه الهوية الثقافية التي تضمن له الاندماج الأمثل في بيئته، وتقف حاجزا في وجه الاستلاب الحضاري الذي تعاظم خطره في الفترة المعاصرة، بانفتاح الأمم على بعضها عبر وسائل التواصل الرقمية التي أضحى العالم في خضمها قرية صغيرة.

ولم يكن المجتمع العربي في بداية اهتمامه بأدب الطفل يملك قدرا من النصوص الصالحة للطفل، ما دفعه للاستعانة بالترجمة، ومن ثم كانت ندرة النصوص الموجهة للطفل مسوّغا للتوجه إلى الترجمة للطفل العربي، ولما زادت وتيرة التأليف وتنوعت نصوصه، أضيف مسوغ آخر للترجمة تمثل في الانفتاح المعرفي على آداب العالم وعلومه وفنونه وتحاشي التقوقع على الذات الثقافية العربية، ومازال هذا المسوغ حاضرا بقوة في الترجمة للطفل العربي، وهو ما يعد في الواقع أمرا مشروعا، لأن الأمم بدأت تقاس بما تقدمه لأطفالها من غذاء ثقافي، وبمقدار ما توليه من اهتمام بحاجات الطفل الفكرية.

وعليه، تبرز أهمية الترجمة كعملية تواصلية ووسيلة من وسائل المثاقفة، فرضتها -كما أشرنا- الحاجة إلى أدب الطفل بعد انتشار التعليم وبروز الاهتمام بالطفولة في الساحة الثقافية والاجتماعية العربية، فلا يخفى

دورها الأساسي في مجال التنوير الفكري وتبادل الثقافات بين الشعوب. غير أن الأدب المترجم للأطفال مثلما يحتمل في طياته فوائد وإيجابيات، يفتقر بالمقابل إلى شرط المواءمة الثقافية والحضارية والاجتماعية والقيمية للبيئة الهدف (المترجم إليها)، لأنه نشأ في سياق ثقافي وحضاري مغاير تماما، وهنا يكمن أحد أهم مخاطره، فهو يروج لقيم وإن كانت تتماشى مع ثقافة المجتمع الغربي فهي لا تصلح بأي حال للسياق العربي وقيمه العربية الإسلامية.

ذلك أن تباين الأمم في ثقافتها وتوجهاتها الأيديولوجية يدفع الدول القوية إلى فرض ثقافتها على الأمم الضعيفة لتطغى على هويتها الأصيلة فتصير تابعة لها ثقافيا ومن ثمة سياسيا، وهو ما تجسده الحملة الشرسة التي يشنها العالم الغربي اليوم بتقنياته التكنولوجية الفائقة التطور على شعوب العالم العربي، إذ يجتهد في بث رؤى وأفكار وتقاليد دخيلة على مجتمعاتنا العربية، على نحو يقود لصدام حضاري ونفسي مبكر لدى الطفل العربي. وهنا تتعاظم المسؤولية الملقاة على عاتق المترجمين، ويكبر التحدي أمامهم في تأدية وظيفتهم الحضارية بتثقيف الطفل وتعريفه بروائع الأدب العالمي دون المساس بهويته الحضارية.

أولا- أدب الطفل المترجم في الوطن العربي واقعه وأثره في المتلقي:

لطالما أثارت ترجمة أدب الطفل اهتمام كثير من الباحثين والمنظّرين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم، لا سيما في نهاية القرن العشرين حتى يومنا هذا، وقد كان جلّ تركيز المقاربات التي اهتمت بهذا الحقل المعرفي على المتلقي/الطفل، إلى جانب اعتبارات أخرى منها الأدبية والترفيهية والأخلاقية والتجارية وغيرها، ذلك أن كل ترجمة موجهة للطفل هي حتما محكومة ببعض الاعتبارات التي تخص المتلقي في بيئته الثقافية والحضارية، مما يجعل منها عملية معقدة إلى حد ما.

وتعد الترجمة للطفل من أصعب أنواع الترجمة، لما تحمله من مسؤوليات كبيرة تجاه مراعاة أذواق الصغار، وبما يتفق مع قيم التعامل الحضاري، فعلى المترجم أن ينتقي كل ما يتوافق مع تقاليد وعادات وأعراف المجتمع الذي ينقل إليه النص، ذلك أن أدب الطفل ينبغي أن يُبنى على أسس تربوية غاية في الدقة لضمان زرع القيم السليمة في كل مرحلة من مراحل الطفولة، ولا يكفي أن تتوفر المتعة في أدب الطفولة بل لابد أن تقترن بالتنمية السلوكية والأخلاقية، لذلك تتسم عملية ترجمته بالتعقيد والحساسية لأنها تنقل بنية ثقافية في سياق حضاري محدد إلى سياق آخر مختلف تماما، لذلك يبذل المترجمون جهودا مضنية في سبيل محاولة مواءمة النصوص المترجمة للطفل مع متطلبات بيئته الخاصة، هذا دون إغفال حرصهم على تحقيق شيء من التكافؤ الأسلوبي والدلالي والجمالي بين النص في لغة المصدر والنص في لغة الهدف.

لما أحس الكتّاب في الوطن العربي بفراغ كبير في الساحة الثقافية للطفل، آمنوا بحتمية نقل آداب غيرهم من الأمم التي بلغت شأوا كبيرا في الكتابة للطفل بترجمتها إلى اللغة العربية، وأيقنوا بأنها (أي الترجمة) الوسيلة المثلى والحل الأنسب وقتها لاكتساب المعارف والخبرات المتراكمة. وتعود بدايات اهتمام الأدباء العرب بترجمة أدب الطفل إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، نُقلت خلالها العديد من النصوص عن

الأدب الغربي لاسيما الفرنسي والانجليزي، غير أن ازدهار هذا النشاط تأخر قليلا في الواقع؛ إذ لم يبدأ قبل الستينيات ولم يجاوز الثمانينات من القرن الماضي، بل إن العقدين الأخيرين منه شهدا انحسارا واضحا في حركة ترجمة أدب الأطفال، نتيجة نمو التأليف وظهور أدباء عرب يكتبون للطفل العربي ويقدمون نصوصا فنية تلبي حاجة الأطفال وتجعلهم أكثر ارتباطا بواقعهم.[1]

وإذا بحثنا عن البلدان العربية التي كان لها السبق في ترجمة أدب الطفل فسنجد مصر وبلدان الشام، و«تعد بعض بلدان الخليج العربي في الوقت الحالي في طليعة الركب الناقل لهذا المخزون الكبير، وقد اضطلع بهذه المهمة في البداية الأدباء والكتاب أنفسهم، فكانوا يعيدون صياغة النص الأصلي وكأنهم هم من أبدعوه، إذ كان الأديب السوري "رزق الله حسون" يعمل مترجما في قنصلية النمسا في حلب، وأصدر كتاب "النفثات" سنة 1867، وهو عبارة عن ترجمة شعرية ونثرية لعدد من ترجمات "كيرلوف" رائد أدب الأطفال الروسي، والذي قام بترجمة قصص "لافونتين" إلى الروسية».[2]

كما عرفت مصر أدب الطفل في عصر مُحَمَّد علي، حيث قام "رفاعة الطهطاوي" بترجمة "حكايات الأطفال وعقلة الأصبع" عن "شارل بيرو"، وشيئا فشيئا تزايدت الترجمات وانهالت النصوص على دور النشر، التي وجهت بوصلتها للاستثمار في هذا النوع الأدبي، ويبدو أن المخزون القصصي المترجم هو المهيمن على الساحة الثقافية للطفل العربي، حيث حازت القصة حصة الأسد من الاهتمام في ميدان الترجمة، وذلك على حساب فنون أدبية أخرى بارزة كالشعر والمسرح، إذ عكف المترجمون على نقل النصوص القصصية الأجنبية للطفل العربي، متجاهلين بقية الفنون التي تستهوي الطفل وتلعب دورا حاسما في تنشئته، ويرجع هذا الاهتمام في الأغلب لغايات تربوية وترفيهية وتعليمية من جهة، وأسباب تجارية محضة من جهة أخرى تتعلق بإقبال القارئ الصغير على القصة أكثر من غيرها من الفنون الأجنبية المترجمة.

ويشير الباحث والكاتب السوري "مُحَمَّد قرانيا" إلى أن «نسبة النتاج القصصي بين المؤلف والمقتبس لا يتجاوز في مجموعه 67%، والبقية تمثل القصص المترجمة، يضيف كذلك ما مفاده أن جهد الدوائر العربية في تقديم هذا النتاج لا يصل إلى نسبة 13% من حيث الكم والنوع في الوقت نفسه، بينما يفوق في دوائر غير عربية نسبة 84%».[3]

لقد تزايد في وقتنا الحالي عدد القصص الأجنبية المترجمة لشريحة الأطفال، وذلك ما لا يمكن أن يغفله الواحد منا، ولا سيما المتتبعين والمهتمين بهذا الفن، ونجد عادة بأن جل القصص المترجمة التي تفد إلينا داخل الجزائر مثلا، صادرة عن دور نشر لبنانية وسورية مثل شركة دار الشمال ومؤسسة المعارف بلبنان، ودار ربيع للنشر بحلب السورية، فاضطلعت هذه الدور بنشر ترجمات لقصص أجنبية مقتبسة ومؤلفة صادرة باللغة الفرنسية عن منشورات هيما (Editions HEMMA) ببلجيكا، وما نلاحظه في بعض هذه القصص غياب

بعض المعلومات المهمة مثل كاتب النص، والمترجم للغة العربية، على الرغم من ورودها في حلة طباعية بديعة لا تقل عن نظيرتها الأصلية.[4]

ومن بين المشكلات التي تطرحها ترجمة أدب الطفل في العالم العربي عدم إجادة اختيار الأعمال الجديرة بالترجمة، إذ عادة ما تُسند هذه المهمة للمترجم وحده حتى وإن لم يكن ملمّا بأدب الطفل، دون الاستعانة بأهل الاختصاص، ومن ثمّ لا ينبغي على المترجم أن ينتقي العمل المراد ترجمته انطلاقا من شهرة المؤلف في مجتمعه، بل يبني اختياره وفقا للحاجات الحضارية للمجتمع المستقبل.[5]

ويشير هذا الرأي إلى مدى حرص الكتاب العرب في الترجمة لأدب الطفل على ضرورة إنجاح التلقي، الذي هو بمثابة إنجاح للعمل المترجم نفسه، ولن يتحقق هذا النجاح والمقبولية -حسب الكاتب "عبده عبود"- إلا بمراعاة هذا المتلقي في جميع ما يتماشى ومرحلته العمرية والسيكولوجية والإدراكية التي يوجد فيها، وما يمثل بيئته وقيمه الروحية والثقافية والحضارية. ومن هنا تُطرح صعوبة التعاطي مع الترجمة لأدب الأطفال، التي يراها الكثير من الناس في غاية البساطة والسهولة، ولكن سرعان ما تتبين لهم إشكالاتها التي تتطلب التمحيص الجاد، للخروج بحلول ملموسة تأخذ بعين الاعتبار الآخر في غرائبيته والمتلقي في أصالته ومبادئه السامية.[6]

لا شك أن الكتب المترجمة للطفل هي ظاهرة صحية وحركة ثقافية طبيعية تنتج عن تفاعل الأمم والثقافات وتأثرها ببعضها البعض، ومن البديهي أن تترك هذه الظاهرة أثرا سلبيا أو إيجابيا على فكر ونفسية الطفل العربي، باعتباره المستهدف الأساسي من هذا النشاط الثقافي، وفي هذا الشأن يشير الكاتب المختص في أدب الطفل "سمر روحي الفيصل" إلى أن هذا التأثر يأتي في وجهين؛ وجه إيجابي يكمن في اطلاع الطفل العربي على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها، وعلاقة أطفالها بمجتمعهم وأسرهم وأوطانهم، وهذا ما عزز لدى الطفل العربي مجموعة من القيم المعرفية والاجتماعية والوطنية والإنسانية، إضافة الى المتع الفنية النابعة من الحكايات الشائقة والشخصيات المحببة التي تستجيب لتطلعات الطفل وحاجاته.

أما الوجه السلبي، فقد تجلى في التركيز على العوالم العجيبة والغريبة، والشخصيات المستمدة من الحكايات الخرافية، وخصوصاً السحرة والكائنات الغريبة وما يرتبط بذلك من خوارق؛ كطيران الأبنية والحيوانات الضخمة، واختراق باطن الأرض، ومسخ الإنسان حيواناً، وانقلاب الحجارة ناراً وما إلى ذلك، مما يفتقر إلى السند العلمي وإن كان مفيداً لتنمية مخيلة الطفل. وليس هذا الوجه السلبي خاصاً بالقصص التي ترجع الى ما قبل ثلاثينات القرن العشرين، بل هو عام، لاحظناه في كثير من القصص على غرار «الأرنب والتمساح» للكاتبة الإنجليزية "إينيد بلايتون"، حين منحت القاصة الأرنب القدرة على المكر والخديعة للإيقاع بحيوانات الغابة. وقد يختلط أحيانا الوجه الإيجابي بالسلبي في القصة الواحدة؛ كما هو الحال في قصة "أليس في بلاد العجائب" للقاص الانجليزي "لويس كارول" التي تمتزج فيها الشخصيات المحببة والمغامرات الشائقة

والعلاقات الاجتماعية الراقية، مع الخوارق والأشباح وعوالم بواطن الأرض وقيم القلق والخوف والخجل والتردد.[7]

أما من الناحية اللغوية، فقد تباينت لغة الترجمة بين ما ترجم في النصف الأول من القرن العشرين، وما ترجم في النصف الثاني منه؛ ففي الترجمات الأولى تجلى حرص المترجمين الواضح على نقاء اللغة العربية ودقتها وجمالها، حتى اتهم الرواد الأوائل بالمغالاة في التقيد بجماليات اللغة العربية، فترجموا نصوص أدب الأطفال الشعرية والنثرية بلغة راقية يعجز الطفل العربي أحيانا عن التواصل السليم معها، أما ترجمات النصف الثاني من القرن الماضي، وخصوصا السبعينيات، فقد تميزت ببساطتها وضعفها وتراجع القيمة اللغوية فيها.[8]

وبذلك شرعت لغة الترجمة تقترب من لغة الطفل العربي، لأنها استبدلت معايير السلامة اللغوية والحرص على إيصال المعنى بدقة، بالنقاء والبساطة والوضوح والرغبة في تنمية معارف الطفل. وقد استمرت الشكوى من الضعف اللغوي في أعمال بعض المترجمين ولم تنقطع من الساحة الثقافية العربية للآن، تماشيا مع الحرص العربي على ضرورة إتقان المترجم اللغتين المصدر والهدف (المترجم منها والمترجم إليها).

ثانيا- ترجمة أدب الطفل وإشكالية الثقافة:

تلعب التنشئة الثقافية دورا هاما في نمو الأطفال عقليا بالتدريب والتعليم؛ فهي تؤثر في النشاط الذهني بما يستمده الطفل من بيئته الثقافية من قيم وعادات وتقاليد وأنماط فكرية، كما تؤثر على نموهم عاطفيا وانفعاليا من خلال تنمية استجاباتهم للمؤثرات النفسية المختلفة، وإكسابهم الميول وطرق التعبير عن انفعالاتهم، إضافة إلى أثرها الكبير في نموهم اجتماعيا بمساعدتهم على بناء تصور سليم لعلاقاتهم بالآخرين، وينطوي ذلك كله على بناء شخصياتهم وتوجيه سلوكياتهم لتهيئة الفرد الصغير ليصير منسجما مع واقعه قابلا لأن يشارك المجتمع في حياته الثقافية.

والثقافة «منظومة متكاملة تضم النتاج التراكمي لمجمل موجات الإبداع والابتكار التي تتناقلها أجيال الشعب الواحد، وتشمل بذلك مجالات الإبداع في الفنون والآداب والقصائد والاقتصاد والعلاقات الإنسانية، وترسم الهوية المادية والروحية للأمة لتحديد خصائصها وقيمتها وصورتها الحضارية، وتطلعاتها المستقبلية ومكانتها بين بقية الأمم».[9] فثقافة الطفل هي كل ما تناقلته الأجيال عن الآباء والأجداد في الأمة من قيم ولغة وعادات وتقاليد ومعتقدات وفنون وأنماط ذهنية وسلوكية...، يربط بين هذا الكل المركب عنصر الدين، وينعكس هذا المزيج من المكونات الفريدة لثقافة المجتمع في سلوكه، وفي حركته ووجوده وتحيزاته الإيديولوجية وعلاقاته الاجتماعية. ومادامت الثقافة إرثا تاريخيا مقدسا للأمة، فمن الضروري المحافظة عليها وترسيخها في أذهان الأجيال، لتشكيل سد منيع في وجه الغزو الثقافي الذي يمتد بسرعة في عصرنا، ليطمس كل ثقافة أو نشاط إنساني يفيد أجيالنا ويرتقي بها نحو حضارة نوعية.

ويعد أدب الطفل المترجم من أبرز وسائل الاختراق الثقافي، إذ تحرص كل أمة على أن تنتج لأطفالها أدبا يعمل، إضافة إلى إمتاعهم، على مساعدتهم في التكيف مع محيطهم وإعدادهم للمستقبل، ملائما لثقافة بيئتهم ومجتمعهم، معبرا عن خصوصياتها الحضارية ورؤاها الفكرية. وحين ينتقل هذا الأدب من بيئته التي الأصلية إلى بيئة مغايرة، يخلق ذلك لا محالة صداما بين ثقافتي هاتين البيئتين المتباينتين، ويولد أطماعا لدى الأمم القوية في فرض سيطرتها على ثقافة الأمم الضعيفة واستلابها فكريا، ببث أيديولوجيتها في النصوص الموجهة للناشئة شبابا وأطفالا مستغلة بذلك جميع الوسائل المتاحة في عصر العولمة والتقنيات الرقمية المتطورة، فيفقد الطفل العربي، بوصفه مستهدفا بهذا الاختراق الثقافي، صلته بواقع الاجتماعي والثقافي شيئا فشيئا، لينتهي به الأمر غريبا عن قيمه الحضارية مضمحل الفكر في ثقافة أجنبية لا تمت له بصلة.

ذلك أن أدب الطفل يخضع في مضمونه وأساليبه لمعايير المجتمع الدي أُنتِج فيه، ويمتص المتلقي الصغير الثقافة التي يستقبلها في الأدب المترجم، فتفعل فعلها السالب أو الموجب في فكره وثقافته، ويتعلم ما هو مقبول وما ليس بمقبول، ويكتسب مفاهيم جديدة بعضها صحيح وبعضها مغلوط، لذلك تتعالى نداءات المختصين داعية المترجمين لالتزام الحدود الثقافية والقيمية والدينية التي تحكم المجتمع المستهدف بالنصوص المترجمة، حفاظا على هوية وثقافة أبنائه من التشوه والانحلال.

وعلى هذا فإن «أول الأهداف التي ينبغي أن يضعها الاتصال الثقافي الموجَّه والمقصود في حسابه هو تشكيل ثقافة للأطفال متوافقة مع العصر، ومتلائمة مع الآمال الموضوعة للمستقبل، وألا يستهدف الاتصال الثقافي "نقل" الثقافة، بل الانتقاء من عناصرها الإيجابية وإثراءها، والانعطاف بالقيم والمعايير والمعاني تحقيقا لتلك الأهداف، حيث لم يعد من المناسب إغراق الأطفال بفيض من عناصر الثقافة، بل اختيار ما يناسب الطفل، وما يتوافق مع آمال المجتمع»[10]، للوصول إلى بناء شخصية متكاملة ومتوازنة للطفل.

وفي هذا الشأن يقول "حسن شحاتة": «الطفل هو الثروة الأساسية للأمة، ومن ثم فإن تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح الهدف الأسمى لأي تثقيف إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض، وإذا ما قصدنا للأمة نماء اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا»[11]، لذلك ليس كل ما يكتب ويترجم يمكن أن يقرأه الطفل، ولابد من إيلاء عناية واهتمام كبيرين للمحتوى الثقافي الذي يُنقل من النصوص الأجنبية ليتلقاه الطفل العربي، نظرا لهشاشة هذه الفئة وافتقارها للوعي والإدراك العقلي، الذي يمكّنها من فرز ما تتلقاه من قيم ثقافية في الأدب المترجم.

ولا شك في أن سيادة الترجمة عن الإنكليزية والفرنسية «قادت إلى أن يتعرف الطفل العربي نصوص أدب للأطفال نابعة من بيئة مغايرة لبيئته، معبرة عن أيديولوجيا هذه البيئة ونظرتها وفهمها للطفل، وما يرتبط بذلك من قيم وموضوعات. كما قادت فوضى الترجمة، وفقدان التخطيط العلمي لها، واعتمادها على الرغبات الفردية للمترجمين، إلى خلل واضح في تلقّي الطفل العربي الأدب المترجم عن الإنكليزية والفرنسية».[12]

فغالبا ما تشكل الفروقات الثقافية عائقا كبيرا خلال عملية الترجمة للطفل، بل يمثل الاختلاف الثقافي حاجزا أكبر من غيره، لأن الطفل تنقصه الخبرة والثقافة لاستيعاب ثقافة غيره أو حتى ثقافته، وهنا يجد المترجم نفسه في مأزق أمام المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه، مما يضطره لابتكار طرق ووسائل للتوفيق بين أمانة النقل وتكييف النص مع الثقافة المنقول إليها، لذلك تعد الترجمة أحسن وأصعب اختبار لتقييم مسألة اللغة والثقافة؛ حيث يطرح دور اللغة في الحياة الاجتماعية نفسه بقوة ويدفع المترجمين لاعتباره أولوية، ذلك أن اللغة من وجهة نظر اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة والدين والعادات والتقاليد، لذلك لابد من مراعاة دور اللغة في إطارها الاجتماعي، واحترام الترجمة للقيم الاجتماعية السائدة في الثقافة المستهدفة.

وفي هذا الصدد، وبخصوص الاستراتيجيات المتبعة في محاولة ترجمة المسائل الثقافية للطفل، «قد يتوجه بعض المترجمين إلى التبسيط عن طريق التوطين (Domestication) أي محاولة تبسيط الترجمة إلى حدود فهم الطفل واستيعابه وفقا لثقافته، وإيجاد الوضعيات الثقافية المكافئة من اللغة المنقول منها على اللغة المنقول إليها. أما البعض الآخر فيذهب إلى أن ترجمة أدب الطفل تحمل في طياتها مسؤوليات تعليم الطفل اكتساب ثقافات مختلفة، ولذلك فإن الترجمة بالتغريب (Foreignization) هي الأنسب. فلا يمكن أن يحرم الطفل القارئ من التعرف على ثقافة غيره».[13]

ويختلف المختصون في ترجمة أدب الأطفال بين مؤيد ومعارض لمنهج الترجمة بالتصرف، أي بالتعديل والحذف والإضافة والتطويع وفقا لثقافة الطفل القارئ الهدف؛ فالمؤيدون يبرّرون موقفهم بضرورة تطويع النص المترجم ليتلاءم مع ثقافة الطفل العربي، حماية له من الذوبان في القيم الحضارية الغربية خاصة، أما المعارضون، فحجتهم أن الترجمة بالتصرف تحرم القارئ الطفل من التعرف على ثقافة غيره، وقد تؤدي في كثير من الأحيان إلى تشويه النص الأصلي.

إذ تطرح ترجمة القصة والرواية لشريحة الأطفال والمراهقين إشكالية الفروق الثقافية والنكهات اللهجوية واللهجات الفردية، ما يدفع المترجم إلى التصرف باللجوء إلى استراتيجيات معينة لتكييف النص المترجم مع معطيات البيئة المستهدفة، منها تعريب الأسماء والأمكنة والفضاءات، غير أن هذه الاستراتيجيات قد تؤدي إلى خيانة النص الأصلي، حيث يشكل تعريب الأسماء مثلا ندوبا تشوه الأصل وتجتث منه نكهته وألوانه وثقافته ورؤاه الدينية وطبوعه العرقية. وتصل التشوهات إلى حد العبث بعبقرية لغته، وتعابيره المألوفة وقوالبه الأثيلة. هذه الظواهر تتجلى أيضا معكوسة حيث أنها تفعل المفعول نفسه في نص التلقي أو المصب الذي يجده الطفل مجافيا لأعراف ثقافته ولغته ومجتمعه.[14]

وعلى صعيد مغاير، «تكشف الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية أن المترجم العربي لم ينجح في نقل النص الأجنبي إلى العربية إلا عبر الترجمة بالتصرف؛ إما بالإضافة التوضيحية، أو بالحذف أو التبديل، مثل تغيير أسماء الأماكن والشخصيات... سعيا لترسيخ قيم تتناسب اجتماعيا مع واقعنا العربي، مما يؤدي إلى فقدان

تفاصيل فنية وتقنية ضرورية لفهم المضمون العام للنص. وقد يوجّه النص المترجم وجهة تبتعد عن المسار الذي وضعه كاتب النص الأصلي، وتُفقِد النقاد والمتابعين للأدب الطفلي الغربي العديد من القيم الفنية والجمالية في هذا النوع الأدبي. ونعتقد هنا أن النهج المتبع في الترجمة إلى العربية لا يمكّننا من أن نطوع أو نلائم الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية التي يحملها النص الأصلي، لتنسجم مع الثقافة والفكر الذي شكلته هذه اللغة الجديدة».[15]

ورغم اختلاف توجهات المترجمين واستراتيجياتهم، غير أنهم لا محالة يتفقون على صعوبة ترجمة أدب الطفل، فهي عملية معقدة تتطلب تحليلا واعيا للطابع الجوهري للنص القصصي أو الروائي، لبعثه في سياق أدبي يتماشى وذوق القارئ العربي الصغير من جهة، والسياق الثقافي المتعارف عليه في مجتمعه من جهة ثانية، وهي مهمة يصعب معها الحفاظ على الرسالة المتوخاة من الترجمة وتحقيق التلقي المتكافئ، دون أن يُرْمَى المترجم بالخيانة أو التبعية الثقافية، ويبقى كل ما نقدمه للطفل العربي مترجَما يعكس بصورة أو بأخرى نظرتنا للطفولة، ومدى احترامنا لهذه المرحلة العمرية كمرحلة هامة في حياة الإنسان والتي يتوقف عليها مستقبل الأمة، في عصر التعدد الثقافي واللغوي الذي تشهده البشرية في ظل العولمة والانفتاح اللامتناهي بين مختلف دول العالم.

ثالثا- هوية الطفل العربي بين أيدي المترجمين:

كثيرا ما نسمع أن الطفل كيان في صيرورة، أي في حالة من النمو المتواصل، جسميا وعقليا، وأن وجوده منفتح غير منغلق، يتصف بالتلقائية والبساطة، تحدوه رغبة عارمة للتعلم واقتحام المجهول، لذا فهو يأخذ من بيئته المحيطة به كل ما يسهم في تكوين شخصيته وصقل مواهبه وتأهيله ليغدو فردا صالحا في المجتمع، كما يسهم في تنمية مشاعر انتمائه لأمته ووطنه، بإكسابه السمات الهووية (اللغة، الدين، الأخلاق، العادات والتقاليد...) التي تشكل خلفيته الاجتماعية، وتعزز ارتباطه بأبناء مجتمعه الذين يتشارك معهم هذه السمات والقيم المحددة لكينونته وهويته الخاصة.

ولأن الاختلاف الثقافي يعتبر حاجزا أكثر من غيره في ترجمة أدب الطفل، لافتقار الصغير للخبرة والوعي اللذين يسعفانه في استيعاب ثقافة غيره، يجد المترجم نفسه أمام مسؤولية عظيمة تقتضي تطويع النص ليوائم ثقافة وهوية البيئة المترجم إليها؛ ذلك أن الثقافة هي جزء لا يتجزأ من اللغة وتشمل كلا من العادات والتقاليد والجانب الديني، السياسي، القانوني والفني من المجتمع، وأثناء ترجمة أدب الطفل يقف البعد الثقافي في النص كأكبر إشكال في عملية النقل من لغة إلى أخرى، حيث أن كل لغة تتميز بثقافة تختلف عن الأخرى كونها تخص هوية شعب معين تختلف عن هوية الآخر، وتمنح ذلك الشعب الخصوصية والتفرد.

من الطبيعي إذن أن يتأثر الطفل العربي بموضوعات النصوص المترجمة وقيمها، وقد جعلتنا الترجمة نهتم بقضية الهوية انطلاقا من علاقة الأنا بالآخر، ومن خلال عامل اللغة كنقطة أساسية في هذه العملية، ذلك أن اللغة هي مكون أساسي من مكونات الهوية نفسها. وكنتيجة لذلك، دفعتنا الترجمة للتركيز أكثر على الآخر الذي

يلعب دورا محوريا في تحديد معالم هويتنا انطلاقا من فكرة الاختلاف بين الثقافات والشعوب. ذلك أن الهوية تتحدّد انطلاقًا من معرفة الأنا لذاتها، هذه المعرفة لا تتحقق إلا بمعونة الآخر الذي نكتشف هويته من خلال مشاركته في هذا العالم، ولعل الترجمة كعملية معرفية تساعدنا على ذلك بعد استهدافنا لمختلف النصوص التي تتنوّع موضوعاتها، وتجسد مفهوم الاختلاف وحتى التناقض أحيانا بين مختلف الثقافات والفلسفات.

وفي هذا السياق يقول "بول ريكور": «إن الآخر مفترض مسبقا منذ البداية... أعترف أن الآخر ليس أحد موضوعات أفكاري، ولكنه مثلي، فاعل حقيقي للفكر وأنه يدركني أنا نفسي كآخر غير هو، وإننا معًا نستهدف العالم كطبيعة مشتركة، وإننا معًا أيضًا نبني مجموعات أشخاص قادرة على أن تتصرف بدورها على مسرح التاريخ كشخصيات من درجة عليا... فإن هذه التجربة لا يمكن أن تصبح قادرة على الشمولية من دون معونة الآخر الذي يساعدني على جمعي لذاتي وتثبيتي ومحافظتي على إبقائي داخل هويتي».[16]

لقد شد ريكور الانتباه إلى قضية علاقة الذات بالموضوع، والأنا بالآخر، والهوية بالهوية الأخرى، فالمترجم يمتلك سلطة في يده من خلال فعل الترجمة، الذي هو في الواقع تحدٍّ يتخذ من المعنى والسلطة التي يتمتع بها رهانا لإيصال رسالة معينة، وبهذا يصير المترجم ندا للمؤلف لأنه لا يكتفي بإنتاج النص مرة واحدة كما يفعل المؤلف، بل يعيد إنتاجه مرارا لتمنح الترجمة للنص الأصلي حياة تتجدد كلما تمت إعادة ترجمته، ويمسي المترجم كاتبا جديدا لذلك النص، فمن خلال الترجمة، يتحول النص الأصلي بين يدي المترجم إلى ملكية يستطيع التصرف فيها حسب أهوائه ومصالحه وأيديولوجيته الخاصة، فتتعدد بذلك الترجمات مثلما تتعدد القراءات والإيديولوجيات.

وهنا يجد المترجم للأدب الموجه للطفل نفسه في ورطة حينما يصطدم بإشكالية الاختلاف الثقافي بين بيئة المؤلف الأصلي وبيئة القارئ المستقبل للنص؛ حينها يجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يقرّب المؤلف من القارئ الصغير، وهنا يقوم بعملية إلحاق ودمج للعمل فيلغي خصوصيته، أو يقرّب هذا القارئ من المؤلف، فيعمد إلى تغريبه. وكنتيجة لذلك، نجد أن أدب الأطفال يعاني من موضوع الترجمة معاناة لا حدود لها، لأن غالب الترجمات الخاصة بأدب الطفل مشوهة أو مبتورة أو غير أمينة.

يعد عائق الهوية من أبرز الحواجز التي تقف حجر عثرة في طريق الترجمة للطفل، فلا شك أن ترجمة نص موجه لأطفال ينتمون لثقافة وإيديولوجيا أجنبية، يجعل من الطفل العربي عرضة للحيرة في اختيار المبادئ والمثل الأنسب لشخصيته والتي سيعتمدها في حياته المستقبلية، وقد تتعارض القيم والأفكار التي تلقنها له عائلته مع تلك التي يستقيها من النص المترجم، أو يشاهدها على شاشات التلفاز والكمبيوتر من قصص كرتونية مدبلجة.

وفي هذا الصدد يقول الباحث "ياسمين بن تومي" في مقال بعنوان "تجنبوا التحيزات السردية": «وإن كنت سأتحدث عن قضايا البرامج التلفزيونية أو الرسوم المتحركة أو الأدب المترجم للطفل من النصوص الغربية،

والتي توجه إلى طفلنا العربي، دون أدنى تأمل في تحيزاتها التي ترسلها إلى عقل الطفل العربي (...) ومن ثم نحن أمام وضعية أقل ما يقال عنها أنها محرجة للطفل الذي يمارَس عليه اضطهاد داخلي، يحاول امتصاص شخصيته، ويجعلها تابعة لأنموذج تكون فيه تناقضات ثقافية جوهرية نتيجة الاستفراغ الذي يبثه التحيز في الأنواع السردية المقدمة له».[17]

كما أن هناك تأثيرا عقائديا وأمنيا خطيرا لهذه النصوص والبرامج المنقولة للناشئة العرب عبر تلك الوسائط حسب الباحث "وليد الحديثي"، يتجلى في صورتين؛ الأولى: تبنّي أبطال أسطوريين لا ينتمون لأمتهم مثل "السوبرمان، باتمان، سبايدرمان..."، بدلا من تبني شخصيات قادة عظماء حققوا لهذه الأمة عزتها وفخرها وتاريخها، والصورة الثانية: تبني برامج تتضمن أفكارا تتناقض مع عقيدة الأطفال، وترسخ قيما ومبادئ مناقضة لهوية أمّتهم وثقافتهم.[18] وتحشو أذهان أطفالنا وشبابنا بقيم هدامة بعيدة كل البعد عن ديننا وعاداتنا وقيم مجتمعاتنا المحافظة، كالاحتفال بعيد الكريسماس والفالانتاين وإشاعة المعتقدات الوثنية، بل بعيدة حتى عن العلم والمنطق كالأفكار العلمانية الداروينية التي أثبت العلم نفسه خطأها ومنافاتها للحقيقة.

فرغم القيمة الفنية والجمالية وحتى الفكرية التي تتضمنها القصص والروايات الوافدة إلينا عن طريق الترجمة، إلا أنها «لا تكاد تخلو من سلبيات عديدة قد تشوش فكر المتلقي الصغير، فتجعله يتساءل عن حقيقة انتمائه إلى بيئة معينة، ومن ثم يشرع في مقارنة نفسه مع أقرانه، فيصل إلى ملاحظة الفرق في نمط العيش والتفكير، بل ويجنح إما إلى الانعزالية واحتقار ذاته التي لا ترقى إلى مصف أقرانه، وإما الانبهار أمام بيئة غيره، فيصبح مقلدا منسلخا فيها. وما يساعد على هذا كله هو تلك الصور المصاحبة للنص المكتوب والخادشة للحياء، بحيث إم لم يقم الناشر بتعديلها سيرى الطفل العربي منها الكثير، وهذا يكون منافيا لقيمه من جهة، وللهدف التربوي والأخلاقي المنوط بأدب الطفل من جهة أخرى».[19]

ولا شك أن هذه النظرة المحدودة لترجمة أدب الطفل لدى كثير من المنظرين والمهتمين بهذا المجال، قد حصرت هذا النشاط في زاوية ضيقة، ركزت على اتخاذ عملية الترجمة لهذه الفئة مجرد أداة تساعد على تعزيز القيم الإنسانية التي لا تتلاءم مع حضارتها وأيديولوجيتنا كعرب ومسلمين، بينما الحقيقة أن الكتابة المترجمة الموجهة للطفل هي لون من ألوان الأدب عامة، له أصوله ومناهجه ومدارسه المختلفة في فهم واكتشاف القيم الجمالية والنفسية والفكرية والاجتماعية في العمل الأدبي الأصلي، والذي يؤثر بشكل مباشر في الجمهور المتلقي (الأطفال).

فلا غرابة إذا في أن يتأثر الطفل العربي بقصص هاري بوتر، وسندريلا، وأليس في بلاد العجائب وغيرها من القصص المترجمة، أكثر من تأثره بقصص الأنبياء والمرسلين مثل: إبراهيم وموسى وعيسى- ومُحَمَّد عليهم السلام جميعا، أو بقصص شخصيات بطولية من التاريخ الإسلامي العربي، مثل: عمر بن الخطاب وخالد بن

الوليد، وطارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي وآخرين، أو حتى شخصيات من التراث العربي كجحا وأشعب وعلي بابا وغيرهم.

إن أكبر الأخطار التي تواجه الطفل العربي خلال اطلاعه على الأدب الغربي، هي «مشكلة التأثر السلبي الواضح بالقصص الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية، شخصياتها وأحداثها التي تكسبه عادات وسلوكيات دخيلة على مجتمعه، بعيدة عن عاداته وتقاليده السائدة، وغريبة عن هويته الأصيلة التي مازال يتحسسها وسط ظروف ثقافية واجتماعية وسياسية غير محمودة، مما يجعله عرضة للغزو الفكري الغربي الذي ما فتيء يتشابك مع آدابنا وثقافتنا الشرقية عامة ولغتنا العربية على وجه الخصوص».[20]

ولعل ما ذكره الكاتب "سهيل عيساوي" في معرض حديثه عن الترجمة الطفلية يؤكد هذا الرأي، حيث يقول: «الكتب المترجمة إلى العربية ظاهرة جيدة، لكن هنالك العديد من القصص المترجمة إلى العربية لا تتناسب مع ثقافتنا ومجتمعنا، وبعضها يبث ثقافة استعمارية هدامة، أو تنزع القيم، أو تخيف الطفل».[21]

وفي نفس السياق، يؤكد الكاتب والمترجم المصري "عبد التواب يوسف" قائلا: «إن الاتصال بالغرب قد أحدث الانفصال بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين بعضنا البعض، وإن كتب الغرب وبرامجه قد رسخت في أبنائنا قيما غريبة عن أوطاننا».[22]

ومن أكثر النماذج السيئة التي تقابلنا في قصص الأطفال المترجمة تلك التي تمجد العنف، وتجعل من القوة البدنية الوسيلة الوحيدة لحسم المشكلات التي تعترض أبطالها، كما في قصص "طرزان" و"سوبرمان" وقصص الجاسوسية و"باباي" التي لا تحتوي على أي قيم إنسانية أو أخلاقية، غير أنها تروج للعنف وتقدمه بصورة مبهرة للأطفال. إضافة إلى تشجيعها على التفرقة، ومن ثمة يتولد سلوك غريب لدى أطفالنا يجعلهم يختارون أصدقاءهم على أسس لا تخلو من التمييز والكراهية؛ كالشكل الخارجي ونمط اللباس والمستوى المادي والمركز الاجتماعي وغيرها. وهناك بعض القصص المترجمة التي تعلم أولادنا سلوكيات شائنة وتفسد تربيتهم وذوقهم؛ من بينها قصة "سجين زندا" للكاتب البريطاني "أنطوني هوب" التي تتضمن وصفا للبطل وهو يثمل، وفي موضع آخر تقرن وصف بطولته وشجاعته بالتدخين.[23]

ولعل أخطر مضامين القصص المترجمة تتعلق بالجانب الديني، بما تتضمنه من أفكار لها أثر سلبي كبير على التنشئة الدينية لأطفالنا، منها مثلا لجوء الشخصيات فيها إلى السحر والشعوذة لتغيير المواقف لمصلحتهم؛ وترسيخ فكرة أن اللجوء للسحر أمر عادي ومقبول بل وممتع أيضا، وهو ما يتنافى مع ديننا الإسلامي الحنيف الذي يرفض السحر ويعتبره من الكبائر، ناهيك عن أن الإيمان بأن السحر يحل المشكلات دونما عناء من شأنه تشجيع الطفل على الكسل والخمول والعزوف عن السعي والاجتهاد لبلوغ أهدافه.

ومن الصور السلبية التي تبثها تلك القصص، تضمنها للدعوة للسجود لغير الله تعالى؛ من قبيل "خر أمام الملك ساجدا"، "انحنى أمام النار تحية واحتراما، وبدا كأنه يسبّح بحمدها"، وتناول قصص القتل والسرقة والنصب والاحتيال كما في قصة "سوبرمان" و"باتمان" أو الرجل الوطواط.[24]

فمضامين هذه القصص تدفع الطفل للاعتقاد بأن هذه التصرفات التي تعتبر مشينة في منظورنا الثقافي (السلوك العنيف، السحر والشعوذة، الاحتيال، التمييز العنصري والتنمر، السجود لغير الله...)، هي سلوكيات مقبولة باعتبار أن أبطال القصص المترجمة تتصرف وفقها وتتبناها، فلا ضير من أن يأتيها هو (الطفل)، وهو ما يتعارض بالتأكيد مع ما يحرص الآباء على غرسه في وجدان هذا الطفل، وهو ما يشعره بالتناقض بين ما يقرأه ويعجب به في القصص المترجمة، وبين ما يوصيه به والداه من قيم وأخلاقيات.

فيبدأ الطفل في ظل هذه الوضعية في التشكيك في القيم والمبادئ التي تربى عليها في بيئته وفي مدى جدواها في الحياة، ما يؤدي به في النهاية إلى الانقلاب على أسرته ومجتمعه لأنهما يجسدان النموذج الذي ينفر منه الطفل ويتفادى الانصياع له، في مقابل النموذج الغربي الجريء والعنيف والمتحرر، والذي يدعو للتخلص من القيم الأخلاقية والإنسانية التي تمسي في نظره مجرد قيود لا أكثر، فينسلخ في النهاية عن هويته وقوميته ودينه وكل ما له علاقة بثقافة مجتمعه وأمته، ويتبنى قيم ثقافةٍ دخيلة لم تُخلق لأجله ولا صُمِّمت على مقاسه، ليجد نفسه في مأزق الغراب الذي أخفق في تقليد مشية الحمامة، فلا هو بقي على أصله غرابا، ولا هو نجح في التحول إلى حمامة، وبقي معلقا بين هويتين أشبه بالمسخ المشوه بعد أن أضاع هويته وبوصلة انتمائه.

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

- الترجمة هي فعل ثقافي مؤثر في حركية التواصل والتفاعل بين الشعوب، يستدعي أن يقف المترجم على أطرافه بداية بالمؤلف الذي حرر النص، وصولا إلى القارئ المتقبل لهذا النص، فهوية الأول قد تختلف عن هوية الثاني كما تختلف ثقافة الأول أيضا عن ثقافة الثاني، ومن ثم وجب احترام تلك المسافة الثقافية بينهما. ذلك أن سيادة أدب في موطن أدب آخر، ستعني واحدا من أمرين: إما محاولة سلب الهوية الحضارية العربية الإسلامية إذا كانت قيم الهوية في الأدب المترجم مناهضة لها، أو تعزيز الهوية الحضارية العربية الإسلامية إذا كانت قيم الهوية في ذلك الأدب المترجم منسجمة معها.

- مهما كانت الاستراتيجيات التي يتبناها المترجمون لتفادي هذا التصادم بين الهويتين، فإنها تعكس بالتأكيد وجهة نظر الكبار عن الطفل والطفولة، فالفكر الأيديولوجي والأخلاق دائما يسيران جنبا إلى جنب في ترجمة أدب الطفل. وهنا مكمن خطورة الأدب المترجم للطفل؛ فهو موجه لشريحة من المجتمع تمثل مستقبل الأمة وسيؤثر في تشكيل وعي أطفالنا وشخصياتهم ما ينعكس سلبا أو إيجابا على مستقبل أمتنا.

- لذلك وجب الانتباه إلى هذا النوع الأدبي الذي يقبل عليه أبناؤنا في المدارس وفي البيوت، لا سيما وأن أمتنا تواجه هجمة شرسة من العولمة ومحاولة الاختراق الثقافي، تسعى لتغريب الطفل العربي عن هويته وحضارته عن طريق خطاب ثقافي يتسم بلغة مبطنة مخاتلة بعيدة عن البراءة والنوايا الحسنة، مستغلة أكثر الوسائل المعاصرة إقناعا وأعظمها إدهاشا وجاذبية لتحقيق مآربها في مسخ هوية النشء الاجتماعية والعرقية، وإحداث قطيعة بينه وبين جذوره، بدء بلغته ووصولا لدينه وقوميّته، وهنا لا يسع القائمين على ترجمة النصوص الغربية للغة العربية إلا العمل على تقوية ارتباط الطفل العربي بانتمائه إلى حضارته العربية الإسلامية العتيدة بكل مقوماتها وأسسها، دون إغفال الجانب الجمالي والفني أثناء ترجمة النص، توخيا للأمانة وتفاديا للابتعاد عن المسار الذي وضعه صاحب النص الأصلي.

إننا لا ندعو للوقوف ضد التطعيم الثقافي مع الآخرين أو إلى وقف مسار التواصل بين الشعوب، ولا نسعى لمنع الطفل العربي من الاطلاع على ثقافة الآخر وفهم أدبه وقيمه الإنسانية، إنما ندعو إلى اتباع نهج يبدع فكرا حضاريا منفتحا على الثقافة الأجنبية وفق شروط محددة، إننا نؤكد أن عملية التواصل ينبغي أن تخضع للانتقاء السليم لتصحيح ما فسد من نصوص أدب الأطفال المترجمة، وتصويب ما انحرف فيها من خلق أو سلوك، وتطويعها لتتناسب مع مُثُلنا وأفكارنا المستمدة من ثقافتنا الأصيلة.

فالترجمة في وظيفتها الأساسية تسعى لربط وشائج التواصل اللغوي والثقافي بين مختلف الشعوب والأجناس، وتعمل على تحقيق نوع من الإنجاز الفكري والتكامل المعرفي، وإبراز الهويات التي تقف وراء النصوص المبدَعة، وتبادل ما كان سائدا في اللغة الأولى والنص الأول في بيئة نصية أخرى جديدة بكل مسؤولياتها وسياقاتها، ففي ذلك تجديد لما هو قديم وفتح الجديد على ما هو قادم، مما يسمح للغة بأن تتكلم عبر الذات الإنسانية، فهي تتعدد لتكوّن موطنا لهذا الوجود يجمع بين الحضارات المختلفة في تعايش وتناغم بعيدا عن الصراع والتصادم.

هوامش:

1- ينظر: سمر روحي الفيصل، 1998، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص80.

2- مُحَمَّد قرانيا، 2012، تجليات قصة الأطفال "التجربة السورية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، ص131.

3- المرجع نفسه، ص136. بتصرف

4- بن أحمد عبد الفتاح، 2016، أدب الطفل بين الترجمة وإعادة الكتابة، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر، عدد 6 جوان 2016، ص151. بتصرف

5- ينظر: عبده عبود، 1995، هجرة النصوص، اتحاد الكتب العرب، دمشق، ص204.

6- بن أحمد عبد الفتاح، أدب الطفل بين الترجمة وإعادة الكتابة، ص152. بتصرف
7- سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، ص81. بتصرف
8- ينظر: المرجع نفسه، ص82.
9- عبد الوهاب زيتون، 1995، الغزو الثقافي وعوامله وأشكاله، دار المنار، بيروت، ص31-32.
10- هادي نعمان الهيتي، 1977، أدب الأطفال، الهيئة العامة للكتاب، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص106.
11- حسن شحاتة، 1994، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص11.
12- سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، ص80.
13- ساسي هاجر، 2021، قلو ياسمين، ترجمة أدب الطفل، التبسيط بين التوطين والتغريب، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 14، العدد1، ص166.
14- عيسى بريهمات، أفريل 2013، الترجمة للأطفال بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر، مجلة الباحث، منشورات مخبر اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد 12، ص119. بتصرف
15- ينظر: أحمد كامل ناصر، 2018/06/06، إشكالية الترجمة في الكتابة المحلية الموجهة للأطفال، موقع الحوار المتمدن، تمت زيارته بتاريخ 20 أوت 2022، على الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=601581
16- محمد بهاوي، 2012، في فلسفة الغير، نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ج6، ص37.
17- اليامين بن تومي، 2014، تجنبوا التحيزات السردية، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، وزارة الثقافة، قطر، العدد78، ص48، 49.
18- ينظر: وليد حسن الحديثي، 2014، أفضال الشاشة ومساوئها، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، وزارة الثقافة، قطر، عدد78، ص54، 55.
19- بن أحمد عبد الفتاح، أدب الطفل بين الترجمة وإعادة الكتابة، ص149 بتصرف
20- أحمد كامل ناصر، إشكالية الترجمة في الكتابة المحلية الموجهة للأطفال، مقال إلكتروني.
21- سهيل إبراهيم عيساوي، 3 ماي 2015، عوامل تعثر أدب الطفل في عالمنا العربي، موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، تمت زيارته بتاريخ 10 سبتمبر 2022، على الرابط:
https://anfasse.org/%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D9%88-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9/26-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%A9/6028-2015-05-03-15-14-49
22- أحمد كامل ناصر، إشكالية الترجمة في الكتابة المحلية الموجهة للأطفال، مقال إلكتروني.
23- ينظر: علية نعون، 2013/05/29، إشكالية قصص الأطفال المترجمة وتأثيرها على القيم، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، تمت زيارته بتاريخ 12 سبتمبر 2022 على الرابط:

https://www.alukah.net/literature_language/0/55258/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D8%B5%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85

24- ينظر: المرجع نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- الكتب:

1- حسن شحاتة، 1994، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

2- سمر روحي الفيصل، 1998، أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

3- عبد الوهاب زيتون، 1995، الغزو الثقافي وعوامله وأشكاله، دار المنار، بيروت.

4- عبده عبود، 1995، هجرة النصوص، اتحاد الكتب العرب، دمشق.

5- مُحَمَّد بهاوي، 2012، في فلسفة الغير، نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، دار إفريقيا الشرق، المغرب.

6- مُحَمَّد قرانيا، 2012، تجليات قصة الأطفال "التجربة السورية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا.

7- هادي نعمان الهيتي، 1997، أدب الأطفال، الهيئة العامة للكتاب، بالاشتراك مع الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

ب- المجلات:

1- الياميين بن تومي، 2014، تجنبوا التحيزات السردية، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، وزارة الثقافة، قطر، العدد78، من ص48 إلى 49.

2- بن أحمد عبد الفتاح، جوان 2016، أدب الطفل بين الترجمة وإعادة الكتابة، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر، عدد 6، من ص139 إلى 163.

3- ساسي هاجر، قلو ياسمين، 2021، ترجمة أدب الطفل، التبسيط بين التوطين والتغريب، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 14، العدد1، من ص165 إلى 182.

4- عيسى بريهات، أفريل 2013، الترجمة للأطفال بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر، مجلة الباحث، منشورات مخبر اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد 12، من ص115 إلى 144.

5- وليد حسن الحديثي، 2014، أفضال الشاشة ومساوئها، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، وزارة الثقافة، قطر، عدد78، من ص54 إلى 55.

ج- المواقع الإلكترونية:

1- أحمد كامل ناصر، 2018/06/06، إشكالية الترجمة في الكتابة المحلية الموجهة للأطفال، موقع الحوار المتمدن، تمت زيارته بتاريخ 20 أوت 2022، على الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=601581

2- سهيل إبراهيم عيساوي، 3 ماي 2015، عوامل تعثر أدب الطفل في عالمنا العربي، موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، تمت زيارته بتاريخ 10 سبتمبر 2022، على الرابط:
https://anfasse.org/%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D9%88-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9/26-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%A9/6028-2015-05-03-15-14-49
3- علية نعون، 29 ماي 2013، إشكالية قصص الأطفال المترجمة وتأثيرها على القيم، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، تمت زيارته بتاريخ 12 سبتمبر 2022 على الرابط:
https://www.alukah.net/literature_language/0/55258/%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D8%B5%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D9%85